السنة: 2020 المجلد: 05 العدد: 02 ص ص: 230 - 250
EISSN 2676-1645 ISSN 2543-375X

المجال السياسي وتأثيرات المعرفة السيبرانية

Cyber knowledge and the political feild

هادية يحياوي[1]، جامعة عباس لغرور، خنشلة
yahiaoui.hadia@univ-khenchela.dz

تاريخ الإرسال: 2020/03/15 تاريخ القبول: 2020/04/29

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تحليل آثار الثورة التكنولوجية على المجال العام ومنه السياسي، من حيث إنتاج أبعاد جديدة للفعل السياسي، والمشاركة المجتمعية ; إذ تفترض الدراسة أن اكتساب الشأن السياسي لخاصية الافتراضية وانفتاح الفضاء العام، أحدث تحولات عميقة في طبيعة مخرجاته وعزز من القدرة على المشاركة السياسية بشكل كبير، استهلت الورقة بتحديد للجانب المفاهيمي، لاسيما وان المصطلحات الواردة ضمنه غير أصيلة للبحوث السياسية-، مما يسهل عملية توجيه القارئ إلى الفكرة الجوهرية ومؤداها العلاقة بين السيبرانية بمختلف مسوغاتها والحياة السياسية، ختاما خلص البحث إلى إقرار مجموعة من النتائج من أهمها ; أن الفضاء السيبراني تجسيد موفق للفضاء العام المثالي ; إذ تتيح الافتراضية مبدأ العدالة والمساواة، وتصبح أداة فعالة لإعادة انخراط الأفراد في الشأن السياسي وتمكينهم الممارسة الحرة، ومن ثمة خلق قوة ضغط قادرة على تحويل مسارات الأنظمة والحكومات.

الكلمات المفتاحية: السيبرانية - المشاركة الافتراضية-المواطنة الرقمية-الرقمنة-الديمقراطية الإلكترونية.

[1] - المؤلف المراسل

Abstract:

This research paper aims to achieve an analysis of the effects of the technological revolution on the political and public sphere, in terms of producing new dimensions of political action and societal participation, where the study assumes that political affairs' acquisition of the property of virtualism and the openness of public space, has brought profound transformations in the nature of its outputs and significantly strengthened the capacity of political participation. The paper was initiated by identifying the the conceptual aspect, especially since it contained terms that are not authentic for political research, which facilitates the process of guiding the reader to the fundamental idea that of the relationship between cyberspace and its various rationales and political life.

The research concluded with a set of conclusions, the most important of which is that cyberspace is a successful embodiment of the ideal public space, as virtualization provides an effective tool for re-engaging individuals in political affairs, and thus creates a pressure force capable of transforming the paths of systems and governments.

Keywords: Cybernitic- Digital Citizenship- Cyber participation-Digitization- Electronic Démocratie

مقدمـــة:

رغم قدرة القوى الدولتية على الهيمنة على المجال السياسي التقليدي، وعلى توجيه التفاعل داخله إلا أنها تراجعت أمام ثورة المعرفة والحداثة التي اجتاحت مختلف مناحي الحياة المجتمعية، دافعة إلى إعادة النظر في جل التفسيرات السلوكية والأنماط التعاملية، حيث تعيش الحياة السياسية اليوم تحولا عميقا في بنيتها وفي طبيعة التفاعلات التي تحتضنها; ببروز لاعبين جدد غيروا الملامح المألوفة وقوضوا قوة الرقابة الرسمية على هذا المجال، وأكسبوا حيز التواصل فيه بعدا جديدا متبديا في عالم افتراضي يحاكي الفضاء الهبرماسي المثالي، يصعب التحكم في مجرياته إذ يعتمد على حرية التعبير واستخدام الوسائل التكنولوجية العصرية في التواصل، ويملك القدرة على بناء براديغمات معينة لصناعة رأي عام جماهيري عالمي، لا يتعرف بالحدود والأيديولوجيات ضمن

سياق شبكي تشاركي أضحى قوة موازية للأنظمة السياسية; ما دفع بالحكومات إلى البحث في سبل مصاحبة هذا التحول بإنتاج آليات ملائمة تستوعب التحول الحاصل وتصنع شكلا جديدا للممارسة السياسية بمفاهيم ومصطلحات تصطبغ بلون الثورة الرقمية والسيبرانية كالمواطنة الرقمية والديمقراطية الإلكترونية والتي يؤدي تطبيقها إلى إحراز الحوكمة والرشادة في التسيير.

- **إشكالية الدراسة**

ضمن الإطار السالف الوصف تعنى هذه الدراسة بتقفي أثر وحدود السيبرانية والرقمنة على الحياة السياسية للمجتمعات كمجال حيوي بكل مفاهيمها وطبيعة مؤسساتها.

- **سؤال الدراسة**

" إلى أي مدى أثرت السيبرانية في تغيير طبيعة التفاعل في المجال السياسي؟"

- فرضية الدراسة

استتباعا للإشكالية المطروحة تقوم الدراسة على اختبار الفرضية التالية: "كلما تزايد استخدام الفضاء السيبراني بشكل واسع ;أدى ذلك إلى التأثير على طبيعة الفعل السياسي بمختلف أشكاله ومختلف مخرجاته".

المحور الأول: الضبط المفاهيمي لمتغيرات الدراسة

تستخدم الدراسة مصطلحات مستحدثة على البحوث السياسية وذلك بالنظر لمنشئها الأصلي، وهو ميدان الإعلام والتكنولوجيا بالأساس، ألا أن الاستعارة باتت مفروضة نتيجة تأثر الفضاء السياسي بالظاهرة محل الدراسة، ونستعرض أدناه أهم هذه الدلالات المفتاحية ذات الصلة بمجال الدراسة .

1 -تعريف السيبرانية

إيتيمولوجيا المصطلح تجد أصولها في اللغة اللاتينية: kubernetes وتعني قائد السفينة والتي عرفت تحولات عميقة حسب الاستخدامات والأزمنة، ومن الثابت أن أشهر من استقدم المصطلح إلى المجال العلمي هو عالم الرياضيات

الأمريكي نوربير وينر(Norbert Wiener)، وكان ذلك سنة 1947 (Mathieu Tricolt,2006,p2) ; ضمن مشروع أمني أمريكي، وقد استوطن المصطلح في مختلف الشعب العلمية مستفيدا من عدة تعريفات نذكر أهمها:

- "علم التحكم في العملية الاتصالية"(Mathieu Tricolt,2006، 25)

- "القدرة على الحصول على النتائج المرجوة من خلال استخدام مصادر المعلومات المرتبطة بالفضاء السيبراني، أي أنها القدرة على استخدام الفضاء السيبراني لإيجاد مزايا للدولة، والتأثير على الأحداث المتعلقة بالبيئات التشغيلية الأخرى وذلك عبر أدوات سيبرانية"(إبراهيم إبراش2019)

- تعريف جويل دو روزناي: " فضاء يجمع بين مكونين هما: الفضاء والزمان الالكترونيين. فضاء تم خلقه بواسطة شبكات التواصل التي أقيمت بين الحواسيب "....فهو دماغ هجين، بيولوجي وإلكتروني إنه فضاء للشبكات الآلية والعضوية المترابطة فيما بينها بشكل لا متناهي، بلا حدود"(حجيبة قاقاو، 2017)

- "نتاخ الثورة الرقمية الأولى التي بدأت منذ عقدين من الزمان، بعد انتشار الحواسيب التي أتاحت مساحة مناسبة للعنصر البشري، أن يلعب دورًا أساسيًا للتأثير في مخرجات النظام السياسي، من خلال الوسائط الرقمية الناقلة، فقد أصبح الفرد قادرًا على صياغة مشروعه الخاص، على رقعته الخاصة والشروع في تنفيذه) " (نقلا عن محمد شطب عيدان، دارين بارني، 2015، 31)

- "فاعل دولي جديد يستفيد من الأدوات والوسائل العصرية التي أنتجتها الثورة التقنية في الفضاء السيبيري، لإعادة قولبة نمط المجتمعات وبنائها السياسي بالشكل الذي يسهم في تغيير أساليب التفكير، وإحلال طرق جديدة لتغيير الأنظمة، بدلا عن التغيير العنيف، بعد أن تكسر البنى السياسية الشمولية" (ماكيفار، 2010، 84)

تعقيبا على ما سلف إيراده من تعريفات نلمس في السيبرانية عملية في أصلها مادي، ومفهوما هجينا تجاذبته مختلف العلوم حسب الهدف والخلفية، إلا أنها

تشترك كلها في جوهر أساسي كونها فاعل قوي يضمن التوسيع مع التحكم في المجال العام، بمعنى ضمان المشاركة الافتراضية الواسعة لكن مع القدرة على توجيهها والتأثير عليها وهو ما استفاد منه المجال السياسي عل غرار باقي المجالات.

إجرائيا: نعادلها بالافتراضية ونقصد بالسيبرانية في هذه الدراسة ذلك الفضاء المتاح عبر الوسائط الشبكية بمختلف أنواعها، والذي يمكن الفرد والجماعة من ممارسة أدوار مجتمعية ذاتية إرادية تتسم بالطابع التشاركي والتفاعلي وقادرة على تحصيل تأثير محسوس على البيئة المحيطة بأنظمتها الفرعية.

2 -المشاركة الافتراضية

– يعرفها قاري روبينس(Gary Robins) على أنها: "مشاركة تتم عبر البناء الشبكي، والذي يتمثل في مجموعة من الحزم الاجتماعية، التي تتمثل في الأفراد أو الجماعات أو الكيانات مثل الشركات والمؤسسات، ويمثل البناء الشبكي الرابط بين الأفراد والمجموعات"(وليد زكي زكي، 2015)

إجرائيا: مشاركة متاحة عبر الوسائل التكنولوجية المعاصرة، يمارسها الفرد متحررا من قيدي الزمان والمكان، وذلك ضمن سياق تشبيكي مع غيره من الأفراد اللذين يشتركون معه في الأهداف والرؤى.

3 -المواطنة الرقمية

– "قواعد التواصل المسؤول والمناسب مع التكنولوجيا '(مروان وليد المصري /أكرم حسن شعث، 2017،).

– "مجموعة الضوابط والمعايير اللازمة في الاستخدام الأمثل للتكنولوجيا"(مروان وليد المصري /أكرم حسن شعث).

من الواضح أن المواطنة تركز على المستخدم بالدرجة الأولى، وتفترض أن استخدامه للوسائل التواصلية التكنولوجية ذي خلفية إيجابية، ربطا مع المفهوم التقليدي للمواطنة والعور بالانتماء للوطن، نجد أن المواطنة الرقمية تلمح لالتزام

صانع القرار بتمكين الأفراد من النفاذ للمعلومة وللفضاء الافتراضي بشكل مستدام.

4 -تعريف الرقمنة

من أكثر المفاهيم المتشابكة مع السيبرانية، ولكنها تختلف عنها وذلك حسب مضامين التعاريف التالية:

– تعريف تيري كنتي: "تحويل مصادر المعلومات على اختلاف أشكالها (كتب، صور، أشكال، تسجيلات صوتية) إلى شكل مقروء آليا "(بهجة بومعراف مريم بن تازير، 162)

– تعريف دوج هودجز "عملية أو إجراء لتحويل المحتوى الفكري المتاح على وسيط تخزين فيزيائي تقليدي مثل (مقالات الدوريات والكتب والمخطوطات والخرائط...) إلى شكل رقمي"(صدى المكتبات، 2012)

عطفا على التعريفات أعلاه، نرى في الرقمنة عملية تقنية محضة ; تحصل عندما يتحول مصدر المعلومة من شكله الأصلي إلى شكل مختلف وقابل للقراءة عبر الحاسوب، تقف حدودها عند الشكل دون المضمون

إجرائيا: الرقمنة تقنية تعنى بتغيير شكل المعلومة دون مضمونها، من صورة مادية ملموسة إلى أخرى مقروءة إلكترونيا مصورة.

5 -تعريف الديمقراطية الرقمية

رادفتها عدة مصطلحات من أهمها: الديمقراطية السيبرانية، الانسيابية أو الجيل الثالث من الديمقراطية وفي تعريفها نورد الآتي:

– عرفها محمد غيطاس: "توظيف أدوات وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات الرقمية في توليد، جمع وتصنيف وتحليل وتداول كل المعلومات والبيانات والمعارف المتعلقة بممارسة قيم الديمقراطية وآلياتها المختلفة بعض النظر عن الديمقراطية وقالبها الفكري ومدى انتشارها وسلامة مقصدها وفاعليتها في تحقيق أهدافها" (جمال علي الدهشان، 2018، 146)

– عرفها خالد صلاح الدين حسين علي: " توظيف الإعلام الرقمي لخدمة القضايا السياسية وتفعيل القنوات الاتصالية بين النخب السياسية والرأي العام، وتطوير آليات صنع السياسات"(خالد صلاح الدين حسين علي، الإبداعات العربية، 58).

نستوحي من تعريفات الديمقراطية الإلكترونية، أنها استفادت بشكل أساسي من التكنولوجيا الرقمية لتطوير العملية الاتصالية السياسية، على نحو من شأنه أن يعيد صياغة العلاقات والأدوار ومنه نمذجة المخرجات على نحو معين وتصور الباحثة هنا أن إعادة الصياغة لا تعني بالضرورة تحصيل الديمقراطية فقد تذهب العملية في اتجاهات غير مفترضة، وهو ما سنتناوله بالدراسة لاحقا.

إجرائيا: نعني بالديمقراطية الإلكترونية استخدام كل الوسائل الإلكترونية والمرقمنة للممارسة الديمقراطية سواء ما تعلق بجانبها الرسمي الانتخاب والترشح أو غير الرسمي المعارضة والرأي العام والتحولات الديمقراطية.

إيرادا للعوامل المحفزة للسيبرانية نجد من أهمها:

– الانتشار المتزايد للوسائل الاتصال التكنولوجية

– سهولة الولوخ للشبكة العنكبوتية

– انخفاض تكلفة الوسائل والأجهزة الذكية

خلاصة للمحور المفاهيمي نذكر الآتي:

– السيبرانية فاعل رقمي ناعم ولكنه قوي ومجتاح ; من الصعب تأطير تأثيره أو منعه، لاسيما وإن توافرت الشروط البيئية الملائمة .

– من الضروري التمييز بين السيبرانية والرقمنة، حيث أن المفهوم الأول أوسع نطاقا بينما تنحصر الرقمنة في إجراء تقني محض.

– تفترض نشأة الديمقراطية الرقمية وجود بيئة افتراضية فاعلة

– ترتكز رقمنة الديمقراطية على رقمنة عملية الاتصال السياسي وتحرير تدفق المعلومات على جميع الأصعدة بين مختلف الفاعلين دو تمييز بين أطرافهم

– تسمح الديمقراطية الرقمية باتساع المجال السياسي برمته وتطال جميع أنظمته الفرعية لاسيما الاقتصادية والاجتماعية منها.

المحور الثاني: مميزات الفعل السياسي السيبراني

أدى التحول المعرفي في مجتمعات العالم برمته إلى مراجعة الأطر التقليدية للتواصل وإنتاج وسائل جديدة معولمة، خاصيتها التحرر والانتشار اللامحدود , ;بفعل ميزتها الافتراضية وهو ما أسبغ المجال السياسي الافتراضي بسمات أهمها:

1 -التشاركية الشبكية

أضحت تستبطن دعامة مفاهيمية مغايرة لتلك التقليدية المرتهنة بالعيش المشترك ماديا، بمعنى التواصل الواقعي المحدد في الزمان والمكان والفاعل فيه أدوات رئيسية تتمثل في المؤسسات الحزبية والمجتمع المدني ; التي تسعى لتحصيل تنشئة سياسية معينة تجعل منها مطية للوصول إلى السلطة وممارستها (جوهر الجموسي، 2016، 12) فتنتقل بذلك التنشئة السياسية من الفئات النخبوية إلى عامة المجتمع وبشكل أفقي وينتفي بذلك المفهوم السائد للرأي العام القائد والمنقاد.

تمكن هذه السمة من مضاعفة احتمال نشوء الديمقراطيات الإلكترونية، فبالإضافة إلى ضمان الاتصال الحر يبرز رابط الاشتراك في المواقف والمبادئ كمؤسس لنضال افتراضي يتمدد حيزه من المحلي المحدود إلى الكوني العالمي ;حيث يتطلع أو يصادف رواد الفضاءات الافتراضية تجارب أجنبية ; بسياقات مخالفة تدفعه للمقارنة بمحيطه المحلي ومنه محاولة فرض خيارات معينة، ومن الضروري هنا أن نشير إلى أن هذا التفاعل مشروط بتوافر عناصر معين، تتمثل في:

– المعرفة: المقصود بها المعرفة بطريقة استخدام التقنيات بهدف التواصل الشبكي.

– الفعل: التعبير عن الإرادة في الانخراط عبر الفضاء السيبراني.

– التفاعل: تجسيد المشاركة بتبادل المعلومات وتغذية النقاشات المفتوحة(محمد مصطفى رفعت، 2017، ص115).

2 -تجزئة القوة

إن لانتقال إلى فضاء هبرماسي مفتوح ; يتيح تعميم المعرفة وتسهيل وصول الإفراد والمجتمعات، فيصبح المجتمع أكثر قوة "(باسم الطويسي وآخرون، 168) وهو ما يتطلب مسارا زمنيا تدريجيا كافيا لعملية التجميع والتحويل

3 -التفتيت واللامركزية

قادت السيبرانية المفروضة على الفعل السياسي إلى إحداث صدمة في العلاقة المباشرة والفيزيائية بين أطرافه، أدت إلى قطيعة كبرى مع الآليات التقليدية للاتصال السياسي والقائمة على التواصل المادي الواقعي، واستعاضتها بعلاقة افتراضية متحررة الحدود الزمنية والمكانية، فعلى قدر القطيعة النظرية تأتي القطيعة مع الواقع والفاعل المركزي الواحد، حيث تتفتت مصادر المعلومة وتتعدد ويصعب معها بناء مشاركة نسقية معينة (رفيق السكري، 2008، 73).

4 -الهوية الفردانية

في سياق الفعل السيبراني السياسي يفقد البعد الهوياتي الجمعي قيمته لصالح الهوية الشخصية الفردانية ; التي تتحول إلى محرك رئيسي لتبادل المصالح والمنفعة(رفيق السكري، 74) وكذا القدرة على ممارسة دور نقدي فعال، كما نعتبر أن هذه الفردانية تعبير عن إرادة واضحة في رفض الهوية الجمعية الناتجة عن املاءات دولتية لاسيما في الأنظمة المغلقة. مع الإشارة إلى أن ترسيخ الفردانية سيكون مؤقتا بفعل الطبيعة التشبيكية لعملية التواصل

الافتراضي التي ترتكز على تفاعل جماعات مترامية الأطراف منتشرة عبر العالم والأهم من ذلك متعددة الآراء والمرجعيات الفكرية.

5 -الانقطاع والانعزال

إذ تحل العلاقات الافتراضية التجريدية محل العلاقات المباشرة الفيزيائية، نتيجة ابتعاد الفرد عن محيطه المباشر وانزوائه صوب مجتمعات عالمية سهلة المنال (محمد مصطفى رفعت، ص120)، بمعنى بروز حالة من الاغتراب بين الفرد وعالمه الأصلي وتولد شعور بالانتماء لعالم مغاير لا مكاني وغير تعددي ولكن مثالي تتغلب فيه القيم الديمقراطية، ويطغى فيه الطابع الاشتراكي في الأفكار والمعتقدات، ويحدث هذا في حالات المغالاة في التعاطي مع المجتمعات الافتراضية والإيمان بوجودها إيمانا مطلقا، مما يسلب الفرد تفاعله التقليدي مع الموجود حوله.

وفي هذا الصدد يقول آلبير بورغمان (Albert Borgman): أن الحواسيب – كناية عن العوالم الافتراضية-، تفصلنا عن العالم الحقيقي لتصلنا بآخر افتراضي نشترك مع أفراده في العديد من المعتقدات (وليد رشاد زكي، 2015)، ونرى في هذا نتيجة من نتائج الضغوطات التي تفرضها الأنظمة الا ديمقراطية التي لا يخدمها انفتاح الفضاءات العامة والحوارات داخلها، إذ تر فيها تهديدا لاستمرار حكمها، وحسبنا مثال على هذا كوريا الشمالية.

المحور الثالث: معالم السيبرانية في الواقع السياسي

لسنا بحاجة لجهد كبير لتقصي انسحاب السمات الافتراضية على واقع الشأن السياسي وقضاياه الجوهرية ممثلة في المشاركة السياسية والديمقراطية، والتي نعبر عنها إجمالا بالتأثير على العلاقة بين الحاكم والمحكوم كسياق عام مفترض لاحتضان علاقة متناغمة قوامها المواطنة الذكية الفعالة كمسوغ، وذلك بإتاحة حيز أوسع للمشاركة المجتمعية الشبكية سلسة غير مكلفة والشواهد الواقعية على هذا الطرح عديدة لاسيما في الديمقراطيات العتيدة التي تعرف تقدما تنافسيا في تسخير الذكاء

الاصطناعي وفي رقمنة أهم المكونات الرسمية للنظام السياسي وتمثلاته المؤسساتية الرسمية وغير الرسمية وذلك على النحو التالي:

1 -سيبرانية العملية الانتخابية والاستفتاءات السياسية

في أصلها تجسد الانتخابات قيمة ديمقراطية ثابتة لدى المجتمعات والأنظمة الحاكمة، وتعضدها في هذا سمة الافتراضية التي تعزز النزعة الفردانية مع دفعها بالإنتماء والهوية الجمعية (Benjamen Loveluk ,2008,p152) وترقى بها في أسمى مراحلها لتكتمل عبر الفضاءات السيبرانية العامة، وبالاتفاق الواسع تقدم تقنية الرقمنة مدخلا هاما في الشأن الانتخابي لاسيما متعلق بتسجيل وفرز الأصوات، ويعد التصويت الإلكتروني من أقوى تجسيداتها ولا يفهم منها التصويت عن بعد فقط بل يمكن أن تمارس مباشرة في مقرات الاقتراع ولكن بوسائل متطورة كالتوقيع الإلكتروني والشرائح الإلكترونية (منال قدواح، مجلة العلوم الإنسانية، 2015، 232)، ونشير بهذا الصدد إلى أن عملية التصويت لا تعدو أن تكون سوى نتيجة لاحقة لمراحل تمهيدية سابقة وأخرى لاحقة:

- **المراحل السابقة**

– رقمنة بيانات القاعدة الانتخابية وحصرها حصرا دقيقا، وهو ما يتصل برقمنة وعصرنة الجهاز البيروقراطي برمته.

– رقمنة تسيير المجال الإقليمي لتوزيع الهيئة الناخبة

- **المراحل اللاحقة**

– رقمنة عملية فرز النتائج والإعلان عنها وكذا إقرارها في زمن قياسي

نرى في إدماج السمة الافتراضية في العمليات الانتخابية، فرصة ثمينة لتحقيق مقومات تفتقر لها النظم التقليدية، ونجملها في الآتي:

– رفع منسوب النزاهة والشفافية بالحد من عدد المتدخلين في إدارة العملية الانتخابية، وحصره في أعضاء محايدين ودون مصلحة مباشرة، ويفترض هذا وجود إرادة سياسية متماشية مع هذا الطرح.

– زيادة المشاركة في الانتخابات، بحيث تقل الحاجة للتنقل المباشر لمراكز الاقتراع.

– تقليل هامش الخطأ البشري سواء في حساب الأصوات أو في عملية الاقتراع ذاتها.

– تخفيض كلفة الجانب اللوجيستي للانتخابات

2 -سيبرانية التسويق السياسي

استفادت الأجندات الانتخابية للأحزاب والأشخاص من السياق الافتراضي وتوظيفه لتجنيد وتعبئة الوعاء الانتخابي باستخدام الوسائل الالكترونية كالبريد الإلكتروني أو الحسابات التواصلية عبر الوسائط الإلكترونية بما يسمح وحصول تماهي انسيابي بين الناخب والمنتخب (الجموسي جوهر، 216)، وتعتبر سيغولان روايال (Ségolène Royal) مرشحة الحزب الاشتراكي الفرنسي من الأوائل اللذين سخروا الوسيلة الافتراضية ضمن حملات التصفيات الانتخابية الأولى لحزبها سنة 2006 ((جوسلين زيقلير 2016، 160)، كما كانت الحملات الانتخابية الرئاسية الافتراضية في الولايات المتحدة الأمريكية من أقواها، إذ عمد باراك أوباما سنة 2008 إلى استخدام منصات التواصل الافتراضي والاستثمار في محتشد انتخابي افتراضي رافقه إلى غاية فوزه (جمال نون.غسان مراد، 2019، 6) وواظب على استخدامه ودأب على التفاعل المباشر مع المواطنين الأمريكيين من البيت الأبيض وقد صرح سنة 2009 قائلا: "من أولوياتي كرئيس أمريكا أن أفتح البيت الأبيض للمواطنين الأمريكيين" (جوسلين زيقلير، 162)، في ذات الصدد تنحى الحياة السياسية الألمانية نفس الاتجاه، إذ يذكر أندرياس كافالييره (Adréas Cavalier) أستاذ العلوم السياسية بجامعة دوترموند قائلا: "من المحال في وقتنا أن يتمكن السياسيون الألمان من إثبات وجودهم على الساحة وأن يقووا على المنافسة في الانتخابات دون الاستعانة بالأنترنيت"(علاء الدين سرحان، 2006)،

أما في عالمنا العربي يقدم الفعل الاحتجاجي الثوري في مصر وتونس تجربة ذات دلالة معبرة عن فعلية العامل الافتراضي وفعاليته في الشأن السياسي العربي الذي شهد تعرية قوية للأنظمة الحاكمة تزامنا مع حادثة الويكيليكس وما سربته من معلومات عن الأوضاع السياسية الفاسدة لبعض الدول منها تونس (باسم الطويسي وآخرون، 2012، 190) والذي اعتبره البعض سببا مباشرا لاندلاع الثورة عبر تعبئة جماهيرية افتراضية تاريخية تعاظمت ككرات الثلج بفعل التواصل التكنولوجي السريع وأدت إلى تنحية الرموز الحاكمة في النظامين، بعد أن واجها قوتين متلازمتين: شعوب تصبو إلى مناخ ديمقراطي وعدالة اجتماعية ووسائل تواصل افتراضية ذات قوة اجتياحية قاضية -ومن الصعب التحكم في وتيرتها والدليل على ذلك الفارق الزمني الضئيل بين استخدامها في الولايات المتحدة لأمريكية (2008) وخلال أحداث الربيع العربي(2011). ويعبر الشكل الموالي على قوة النهج التواصلي الافتراضي داخل المجتمعات.

الشكل رقم 01: التغيرات العالمية لاستيعاب تكنولوجيات الإعلام والاتصال لكل 100 شخص 2005 -2016

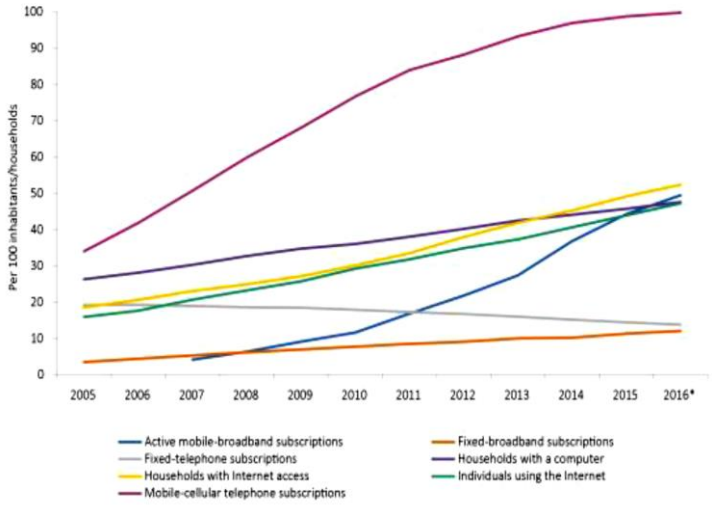

المصدر: نقلا عن يوسف زدام، 2018

من الواضح حسب معطيات الشكل أعلاه أن استخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة يتزايد بشكل مطرد، مما يجعل التخلي عن النماذج التفاعلية التقليدية أمر حتمي، وبفرض تحد كبير هو ضرورة توفير سياق تنظيري لكل المفاهيم الناتجة عن هذا التحول ووضع سياسات وآليات جديدة قادرة على الاستجابة لنمط التشاركية التكنولوجية الحديثة التي تمقت كل الوسائل المادية التي تتطلب الحضور الفعلي في الزمان والمكان المحددين من قوى مركزية.

3 -دمقرطة المجال العام الافتراضي

أفرز التطور الرقمي صبغة نوعية على النشاط التواصلي العام والسياسي بشكل خاص وهذا خارج إطار المناسبتية الانتخابية أو السياق الأزماتي، تجسد هذا في تشكل دينامية يتآكل في ثناياها المفهوم التقليدي للسيادة الذي صنعته الدولة الواستفالية، والقائم على السيطرة على الفضاءات العامة ومصادرة المجال المعلوماتي بترسيخ نمط تواصلي أحادي وبشكل مطلق، ويعد يورغن هبرماس (Jurgen Hebermas) ; أحد مؤسسي فكرة المجال المشترك الحر أو الفضاء العام كحاضنة رئيسية للنشاط الجمعي الحر والتي تبلورت فيما بعد في نظرية المجال العام التي تؤطر المشاركة المجتمعية الفعالة المتحررة من الفكر السلطوي للأنظمة الدولتية (أماني المهدى، 2018)، ويعضده في ذلك فيزير الذي أثار فكرة المساواة والعدالة في الفضاء العام الذي تتميز مكوناته بالبعد عن مراكز القوى والسلطة في الدولة (أماني مهدي، 2018) كما يذكر ليفي (Levy) أن هذا التحول من شأنه أن يؤدي إلى تقويض الديكتاتوريات وإحلال الديمقراطيات الحقيقية محلها(بن عمارة بلقاسم، 2018، ص174).

إن استقاء الآثار الملموسة لسيبرانية المشاركة المجتمعية في سياقها الافتراضي يركن إلى مخرجات واقعية أبرزها منصات الجدال السياسي المتنوع والحر وتزايد استخدام الحسابات الشبكية على عدة مستويات فردية، جماعية وحتى منظماتية مما أثر على الأنظمة الحاكمة ونخبها المهيمنة، وسوغ لنشأة مجتمعات مدنية افتراضية حازت مبلغا متقدما من الفعالية والقدرة على إعادة

توزيع مراكز القوى التقليدية لصالح بنية لامركزية غير إقصائية تتسع لاستيعاب التعدد والاختلاف وتضمن نفس الحظوظ للمتلقي والمصدر على حد سواء(جوسلين زيقلير، 157)، وترى الباحثة أنه أهم المكاسب التي تتيحها هذه السيبرانية تتمثل في:

– تعزيز الحريات والحقوق لاسيما المتعلقة بحرية التعبير والحرية في الاختلاف، لاسيما في الأنظمة المنغلقة التي لا تحصيها ضمن القيم الثابتة داخل مجتمعاتها.

– إعادة بعث الانخراط في النقاش العام وتعزيز المشاركة السياسية لدى المجتمعات التي تعرف عزوفا نتيجة أسباب مختلفة، من أهمها انعدام الثقة بين الحاكم والمحكوم، وكذا عامل الوقت المطلوب للمشاركة.

– تنوع النقاش والفاعلين، كون المجال الافتراضي العام لا يتعرف بالحدود المادية والفكرية ولا بمعطى الهوية الفردية أو الجمعية وهو ما يطرح بدائل مفيدة .

– ضمان الحق في المعلومة وانتشارها الواسع والسريع على المستويين الأفقي والعمودي

– صناعة فكر مواطناتي نوعي من حيث الوعي بمجموعة الحقوق والواجبات التي تمليها علاقة الانتماء لهوية معينة.

4 -رقمنة الجهاز البيروقراطي

إن التأسيس لتفاعل افتراضي بين المواطن والمؤسسات الرسمية للدولة يرتكز على نماذج أنتجتها مصادر منظماتية وأخرى أكاديمية من أهمها:

- نموذج الأمم المتحدة للأمم المتحدة الثلاثي الأبعاد

– حكومة/حكومة (G2G): ويعنى برقمنة التفاعل بين مختلف المكونات الأفقية للحكومات وحتى العمودية فهو انخراط في عملية اتصال عنكبوتية بين مختلف المصالح قصد تسريع الفعالية.

– حكومة/مواطن(G2C): جوهر العملية الديمقراطية تتجسد في العلاقة بين الدولة ومواطنيها باعتبارهم أصحاب السلطة الفعلية وشركاء حقيقيين في صناعة القرار.

– حكومة/ قطاع أعمال(G2B) وهي العلاقة بين الحكومة والمستثمرين من أصحاب القطاع الخاص القادرين على ضخ رؤوس الأموال في القطاع الاقتصادي.

- نموذج آن ماكينتوتش: أبعاده ثلاث(3):

– التمكين الإلكتروني: قوامه نشر الثقافة الإلكترونية بين عامة الأفراد وإتاحة سبل اقتنائها.

– الانخراط الإلكتروني: تمتين العلاقة العمودية التنازلية بين الدولة ومواطنيها وتشجيعهم على تعاطي النقاش العام وتقوية مشاركتهم المجتمعية في صياغة السياسات العامة.

– التعزيز الإلكتروني: تحويل موقف المواطن من مجرد متلقي سلبي إلى مشارك حقيقي في صناعة القرار(يوسف زدام، 94).

تركن الباحثة إلى أن التسليم بسهولة عصرنة وتطوير المجال السياسي على نحو افتراضي، يصطبغ بالعدالة والمساواة ليس بالتاح المطلق، إذ لا يخلو اختبار الفرضية من نقاش عميق بالنظر للمخاطر والتحديات التي تحدو بإثباتها وذات الأثر البالغ في تحديد نتائجها، حيث تشير بعض التحليلات المتخصصة أن ظاهرة الافتراضية هي مجرد توسيع للمجال التفاعلي التقليدي من حيث قدرته الاستيعابية وتراجع شروط ولوجه الإقصائية، وفي هذا الصدد يرى باربر(Barber); أنه وبالنظر للثقافة السياسية التي استثمرت فيها الدول غير الديمقراطية التي يخضع منطق ابتكارها إلى منطق الاستثمار الاقتصادي من قبل ملاك وسائل الإعلام ومحترفي الذكاء الاصطناعي لا يمكن المراهنة على الثورة التكنولوجية في تغيير الممارسات السياسية والاجتماعية السائدة داخل نسق معين(بن عمرة بلقاسم آمين، 2018، ص168).

كما تقدر الباحثة أن مكامن النسيبة في فرضية السيبرانية المثالية متعددة وتجملها في الآتي:

– الافتراض ;يبقى منطق تجريدي، وملامسته للواقع مقيدة وتتطلب تضافر عدة عناصر: ثقافة المشاركة السائدة داخل المجتمعات ومدى توافر البنى التكنولوجية الملائمة التمكين من الولوج إليها، وتختلف في هذا دول الشمال عن دول الجنوب.

– المخاطرة بالقياس على الواقع الافتراضي جد مرتفعة، بفعل الهوية الغير محددة لعديد اللاعبين داخله، وذات السلوك المتذبذب، والتي قد تنزع نحو تعدد المواقف وعدم الثبات على الآراء.

– تركيز الفضاء في يد صانع رأي عام عالمي غير معروف لدى غالبية مرتادي الفضاء السيبراني، من شأنه أن يؤثر على توظيف المطارحات وتوجيهها على نحو معين.

الخاتمة

بميلاد الفضاء السيبراني عرف الفعل السياسي تحولا عميقا على الصعيدين التنظيري والممارساتي، تمثل في صياغة صورة جديدة بإمكانها ترسيخ نقاشات عقلانية بناءة.

عطفا على مختلف المضامين التي تناولتها الدراسة ضمن مسار تفكيك الإشكالية الرئيسة، توصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج والقناعات التي تكون الدراسات الأخرى قد تجاهلت تأثيرها والتي نعرضها كالآتي:

– في تقديرنا السيبرانية امتداد للتقعيد الأكاديمي النظري المتعلق بالفضاء العام الهبرماسي وخصائصه المثالية، بصورة مغايرة تعتمد على خاصية الرقمنة وهي نتيجة طبيعية للثورة التكنولوجية والعولمة التكنولوجية.

– ألغت السيبرانية ميزات الفعل السياسي التقليدي المادية، والمتعلقة بالزمان والمكان وطالت حتى المضمون، واستعاضتها بعالم أكثر تفاعلية وتحرر وعالي

المنسوب من حيث التمثلية، ما يوفر مؤشر وظيفي مقبول الصدقية لقياس المشاركة السياسية.

– رغم حداثتها في الفضاء العام تعتبر السيبرانية فاعلا مؤثرا في مسار التغيير وصناعة القرار المجتمعي، وقوة مستقطبة منافسة للقوة الدولاتية التقليدية، بصورة ناعمة انسيابية، إذ تهدف إلى نمذجة التفاعل السياسي على نحو غير صادم ولكن مفروض.

– بالنظر إلى اللامركزية كمخرج جوهري من مخرجات السيبرانية في المجال السياسي بانتقال مركز صناعة القرار من محيط الفاعل الدولتي إلى فاعل مترامي الأطراف من الصعب رسم حدوده الزمنية والمكانية، فإن المراهنة على قدرة هذا الفاعل الرقمي المتصاعد في تشكيل جماعات ضغط فعالة، جد منطقية ومؤسسة .

– يسوق فحص الأدبيات المستخدمة في إطار البحث إلى ملاحظة أن الفاعل الافتراضي المبادر للفعل السياسي يتمثل غالبا في الفرد وليس الدولة مما يجعله في جزئه الأكبر يحتمل معنى الرفض والنزعة النقدية المتطرفة والاعقلانية.

– تراجع بعد الهوية في الممارسة السياسية لاسيما ما تعلق بالبعد الجمعي الذي تآكل لفائدة الهوية الفردانية الحرة والخفية في بعض الأحيان مما يعطب وجود وحدة تحليلية صلبة، وذلك بالنظر إلى الانفصال عهن الواقع نتيجة المغالاة في استخدام الوسائط الإلكترونية

– يفترض نجاح آداء الفاعل السيبراني مستوى عاليا من التمكين الرقمي والتكنولوجي، مما يقوض إلى حد ما ترسيخه كفاعل مستدام في الأنظمة العربية التي لازالت تخطو خطوات ابتدائية في هذا المجال.

قائمة المصادر والمراجع

- الكتب

– جوهر الجموسي، الافتراضي والثورة، 2016، مكانة الإنترنت في نشأة مجتمع مدني عربي، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1.

- باسم الطويسي وآخرون، ، 2012، ظاهرة ويكيليكس –جدل الإعلام والسياسة بين الافتراضي والواقعي، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

- رفيق السكري، 2008، الاتصال والإعلام السياسي، الرياض، مكتبة القنوات.

- محمد مصطفى رفعت، 2017، الرأي العام في الواقع الافتراضي وقوة التعبئة الافتراضية، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع.

- المجلات

- جمال علي الدهشان، د2018، ثور تكنولوجيا المعلومات في دعم التحولات الديمقراطية-الديمقراطية الرقمية نموذجا-المجلة الدولية للبحوث في العلوم التربوية، المجلد1، العدد2، ص/ص23-232.

- جمال نون.غسان مراد، 2019، الفعل السياسي الرقمي في العالم العربي، ومنظومة التحول والقيم، مجلة دراسات إعلامية، مركز الجزيرة للدرسات، 1-19

- محمد شطب عيدان/نواف عبد القادر جواد، أثر الفاعل الرقمي في الفعل السياسي ودوره بالتغيير في مصر عام 2001، مجلة تكريت للعلوم السياسية، ، العدد14، ص.ص29-64

منال قدواح، 2019، المواطنة الرقمية من خلال المواقع الحزبية والحكومية في الوطن العربي دراسة في التفاعلية الجزائر –مصر-البحرين نموذجا، مجلة الدراسات الإعلامية، المركز العربي الديمقراطي، 191-201

مروان وليد المصري/أكرم حسن شعت، 2017، مجلة جامعة فلسطين للأبحاث وللدراسات، العدد الثاني 143-168.

يوسف زدام، 2018، المشاركة الإلكترونية، من المشاركة نحو مفهوم يتجاوز التغريد، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد 27، ص-ص92-107

- الرسائل والأطروحات

– بـن عمـرة بلقاسـم آمـين، ، 2018، الوسـائط الاتصـالية الجديـدة في تشـكيل الفضـاءات العموميـة الهامشـية النسـائية داخـل الحيـز الافتراضـي، مذكرة مقدمة لنيل مستحقات شهادة الدكتوراه، جامعة مستغانم.

- المراجع الإلكترونية

أماني المهدي المجال العام من الواقع الفعلى إلى العالم الافتراضى: معايير التشكل والمعوقات على الرابط - https://bit.ly/2TQpe6Zتاريخ التصفح: 2020.02.02

إراهـيم إبـراش، 2019، السـيبرانية والسياسـية، علـى الـرابط : https://bit.ly/3aOQubUتاريخ التصفح: 2020.02.15.

– بهجة بومعرافي/مريم بن تازير، إشكالية معالجة الحروف العربية ضمن مشروع الرقمنة بالمكتبات الرقمية –دراسة حالة المكتبة الرقمية بجامعة الأمير عبـد القـادر-قسـنطينة-، المـؤتمر الخـامس للغـة العربيـة، علـى الـرابط: https://bit.ly/2IPqgdq تاريخ التصفح: 2020.01.24

حجيبة قاقاو، الفضاء العمومي الالكتروني والتعبئة السياسية الذكية، المركـز العربـي الـديمقراطي، https://bit.ly/2TPepST تـاريخ التصـفح: 220.02.4

– صدى المكتبات، استراتيجيات، رقمنة مصادر المعلومات في المكتبات ومصـادر المعلومـات، علـى الـرابط: https://bit.ly/3aSjkIc تـاريخ التصـفح: 2020.01.24

– عـلاء سـرحان، التوظيـف السياسـي لشـبكة الانترنيـت في بـؤرة البحـث العلمي، على الرابط: https://bit.ly/2xAfxBl تاريخ التصفح: 2020.04.16

– وليد رشاد زكي، المجتمع الافتراضي نحو مقاربة للمفهوم، عل لرابط: https://bit.ly/2XG9WEv تاريخ التصفح: 2020.04.16

- الكتب باللغة الأجنبية

- Darren Barney, 2015, Network Society (New Jersey: USA Center for Research and Policy Studies,

- *Jocelyn Ziegler*,2016; Cyberdémocratie et démocratie participative,(Perpignan, Presses universitaires)

- Makifar Shalaby, 2010,The Soft War Washington: Center for a New Security

- Revues et Périodiques

- Benjamen Loveluk,Internet Vers La Démocratie Radicale? nLe Débat,N°04,2008,p-p 150-166,en ligne: https://bit.ly/2RAF1ph, Vu le: 14 Avril 2020

- Matieu Tricolt,2006 , Les Implications politiques de la cybernitique américaine, Arabe Les Cahiers du GREPH ,Les réceptions De La Science,PP 54-63